إسلاميات

فقه الدعوة

فضيلة الدكتور/ أحمد عمر هاشم



سلسلة تصدر عن النادى الأدبي الثقافى بجدة

١



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
النادي الأدبي الثقافي بجدة
ص . ب : ٥٩١٩ ـ ت ٦٨٣٤٦٦٣

مقدمة

الحمدالله القائل : «ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء» والقائل : «وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم» .

والصلاة والسلام على رسول الحكمة ، ومنقذ البشرية القائل : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ، نحمده الذى اصطفانا بالرسالة ، وبلّغنا الأمانة ، وحمّلنا الكلمة ، وجعلنا أمة وسطا .

ونسأله أن يديم النعمة ، وأن يميت الفتنة ، ونرجو أن نحسن الشكر ، وأن نجادل بالتى هى أحسن ، وأن تكون النوايا خيّرة فى أبناء ديننا الذين يشهدون لك بالوحدانية ، ويَشْرُفون بالعبودية ، وهم يجعلون «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» عبادة لاعادة وبعد :

فإن النادى الأدبى الثقافى يرى لزاما عليه بل من أول واجباته أن يقوم بدور مثمر بناء فى نشر الوعى الدينى ، وأن يتناول القضايا الإسلامية بطرق منهجية موثقة ، فهو منبر علمى ذو حساسية مفرطة مع الكلمة ، عرف أبعادها وسبر أغوارها ، وأحس بقيمتها فطمح بل طمع أن تكون محاضراته المنبرية موثقة ما أمكن التوثيق ، فكانت محاضراته أو جلها تنحو هذا المنحى .

والنادى حين يدعو عالما من علماء المسلمين يضع أمامه حديث الرسول - ﷺ - أو ما معناه «من اجتهد من أمتى وأصاب فله أجران ومن اجتهد واخطأ فله أجر واحد» ويثق أيضا بأن من الحاضرين من سيناقش اجتهاد الأجر ليوصله إلى «الأجرين» .

وحين راجع النادى إنجازاته المنبرية وجد كماً كثيرا من المحاضرات الدينية التى بطبيعتها جميعا تنير العقول ، وتطرح الأسئلة ، وتذكى الهمم ، وتبين الطريق .

هذا الكم صدر ضمن إصدارات النادى بعنوان «المحاضرات» ورأى أن تلك المحاضرات يحسن أن يطلع عليها أكبر عدد ؛ لتتم الفائدة ، وهو مرة أخرى يثق بأن من القراء من سيقوم بإبداء ملحوظة ، أو مناقشة قضية من القضايا المطروحة فى ثنايا تلك المحاضرات .

لذا رأى ان تصدر تلك المحاضرات فى سلسلة بعنوان «إسلاميات» ليطلع عليها المهتمون بمثل هذه القضايا ، ثم ليستفيد منها عامة المسلمين .

ولن يلتزم النادى بزمن إلقاء المحاضرة فى التسلسل بل سيجعل فى اعتباره توزيع المحاضرات إلى محاور أو مباحث يتصل بعضها ببعض أو عند أقرب نقطة التقاء بين المحاضرتين ، مع العلم أن المحاضرات جميعا تهدف إلى غاية واحدة وهدف واحد هو خدمة أمة الإسلام ، بما يبصرهم بدينهم ، ويجنبهم المزالق ، ويعمق الرؤية الدينية ، والمنظور الإسلامى الشامل .

أيها القارىء الكريم هذه المحاضرات قوامها قول الله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا» وتسعى جميعها لما يحقق الوصول إلى القرب من الكمال .

وسيكون المحور الأول :

١ ـ فقه الدعوة

٢ ـ أهل السنة والجماعة منهاجا والتزاما

٣ ـ الوسطية فى الإسلام

٤ ـ العلمانية والعقلانية

والمحور الثانى :

١ ـ اللغة والقرآن
٢ ـ الإعجاز العلمى فى القرآن
٣ ـ تأملات فى سورة الكهف
٤ ـ معان خاصة ببعض ألفاظ الذكر الحكيم

المحور الثالث :

١ ـ دور علماء العرب والمسلمين
٢ ـ الإسلام ومفاهيم علم المكتبات والمعلومات
٤ ـ الالتزام الإسلامى فى الأدب

وسيستمر النادى فى إصدار هذه المحاضرات مستشعرا قول الله تعالى : .

«ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو اخطأنا ، ربنا ولاتحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولاتحملنا ما لاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» .

« **النادى** »

فقه الدعوة

فضيلة الدكتور/ أحمد عمر هاشم

● الدكتور :
أحمد عمر هاشم

● من مواليد قرية بني عامر مركز الزقازيق محافظة الشرقية جمهورية مصر العربية ، بتاريخ ٦ فبراير عام ١٩٤١م .

● حاصل على الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٣م .

● عين معيدًا بكلية أصول الدين ومدرسًا مساعدًا ، فمدرسًا فأستاذًا مساعدًا فأستاذا للحديث فرئيسًا لقسم الحديث بجامعة الأزهر ، فعميدًا لكلية أصول الدين بالزقازيق ، فنائباً لمدير الجامعة الأزهرية .

الأعمال والزيارات والمؤتمرات العلمية التي شارك فيها :

● عميد كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر بالزقازيق .

● المؤتمر العالمي للسنة النبوية الشريفة بالجزائر .

● ممثلاً من الأزهر ، المؤتمر العالمي للسنة والسيرة بإسلام إباد ممثلاً عن الأزهر ، المؤتمر الطبي الإسلامي بكراتشي ، مؤتمر السنة والسيرة القاهرة في الأزهر الشريف ، مؤتمر شؤون الدعوى

الإسلامية بالأزهر ، سافر رئيسًا لبعثة الحج جامعة الأزهر عام ١٩٨٤ م ، سافر إلى ماليزيا عضوًا في وفد جامعة الأزهر لتسلم جائزة تونق عبدالرزاق التى منحت للجامعة ، مثل الأزهر في مؤتمر الإمام مسلم بالرباط عام ١٩٨٧ ، سافر إلى الإمارات العربية المتحدة دبي لعقد اتفاقية ثقافية بين جامعة الأزهر وكلية الدراسات الإسلامية والعربية . سافر إلى الكويت للمشاركة في الموسم الثقافي في شهر رمضان . سافر إلى المانيا الاتحادية لحضور الندوة الخاصة بمناسبة اليوم الألفى للأزهر الشريف الذكري الألفية .

مؤلفاته :

● السنة النبوية وعلومها . قصص السنة . دعائم الإسلام . الإسلام وبناء الشخصية . منهج الإسلام في العقيدة والعبادة والأخلاق في ضوء الكتاب والسنة . الإسلام والشباب . السنة النبوية في مواجهة التحدي . الإسلام والاقرار والأمن . من هدي السنة . العبادات . من توجيهات الرسول ﷺ . قبس من الحديث النبوي . في ظلال الهدي النبوي . في رياض السيرة النبوية . المنهج النبوي في تعليم المسلمين . معالم على طريق السنة . مناهج المحدثين . قواعد أصول الحديث . تدريب الراوي تحقيق . الكفاية في علم الرواية . المسند للإمام أحمد بن حنبل تحقيق . المحدثون في مصر والأزهر . من هدي الشريعة الإسلامية . أضواء على هدي النبوة . شرح وتحقيق صحيح مسلم . أضواء من التشريع على بناء الفرد والأسرة والمجتمع .

بسم الله الرحمن الرحيم

■ الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ..

فإن الدعوة الإسلامية ، هي أشرف عمل في الوجود ، لأنها رسالة الرسل والأنبياء .

«قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين»[١] .

وللدعوة عناصر أساسية هي :

١ ـ الدعوة

٢ ـ الداعية

٣ ـ المدعو

---

(١) سورة الرعد (١٤)

«وفقه الدعوة» يشتمل على الأحكام التي تتعلق بالدعوة ، والداعية والمدعو ..

وللدعوة إلى الله تعالى ـ منهجها الذي حدده القرآن الكريم وفصلته السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وقد اتسمت الدعوة الإسلامية بفقه عظيم ، وتدرج فيما يتصل بالمأمورات ، وفيما يتصل بالمنهيات ، وفيما يتصل باقتلاع الرذائل ، وغرس الفضائل .. وما إلى ذلك من الأحكام التي تتصل بفقه الدعوة .

والله تعالى ولي التوفيق ...

«دعوة الحق»

قال الله تعالى : «له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال [٢] » .

إن دعوة الحق : هي دعوة التوحيد ، التي أخرجت الناس من ظلام الوثنية وجهالتها إلى نور الايمان ، وحياة العلم والمعرفة ومن الظلم والطغيان إلى العدل والاستقامة ومن الخوف والاضطراب إلى الأمن والاستقرار .

---

(٢) سورة النحل (١٢٥)

إنها دعوة «لا إله إلا الله» كما جاء في تفسيرها قول على ابن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى : «له دعوة الحق» قال: التوحيد. وقال ابن عباس وغيره «له دعوة الحق» لا إله إلا الله ، وفي ظل هذه الدعوة لايتجه المسلم إلا للخالق الواحد . عبادة وسؤالاً واستعانة ، مرددًا من كل أعماقه «إياك نعبد وإياك نستعين» فلا يعبد إلا الله ولايستعين إلا بالله كما جاء في الحديث : «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» .

ويضرب القرآن الكريم المثل لأولئك الذين نأوا عن دعوة الحق وضلوا ضلالاً مبينًا ، فدعوا غير الله ، فكانوا في ضلال وضياع ان مثلهم كمثل إنسان وقف على شفير بئر وقد بسط كفيه إلى الماء يريد أن يتناوله من بعد وهو في ارتفاعه عن البئر يبسط كفيه إلى الماء بغية أن يصل إلى فمه ، وليس هذا بالأمر المعقول ولا بالشيء الممكن وماهو ببالغه .

فكذلك حال هؤلاء المشركين الذين يدعون غير الله ويتجهون إلى سواه إنهم لاينتفعون ، بمعبودهم ، ولاتصل إليهم منهم أية منفعة في الدنيا ولا في الآخرة ، فليسوا بمستجيبين لهم وليس دعاؤهم إياهم إلا في ضياع وضلال .

لقد انبثقت من دعوة الحق مبادىء عالية ، وقيم رفيعة أخذت بيد الإنسانية إلى مرافىء الأمن والطمأنينة .. وفي ظل التوحيد ، حررت العقل البشري من الضلالة والخرافة وصاغت الحياة بمكارم الاخلاق وخلع الأوثان .

وقد ذكر «الألوسي» إنه لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ودعا إلى الإسلام فبعث أكثم بن صيفي ابنه «جيشا» فأتاه بخبره . فجمع بني تميم وقال لهم :

إن ابني شافه هذا الرجل مشافهة ، وأتاني بخبره ، وكتابه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الاخلاق ويدعو إلى توحيد الله تعالى ، وخلع الأوثان ، وترك الحلف بالنيران وقد حلف ذوو الرأي منكم : إن الفضل فيما يدعو إليه ، وإن الرأي ترك ماينهى عنه .

ثم ان الذي يدعو إليه محمد لولم يكن دينًا لكان في اخلاق الناس حسنًا .

هذا هو أحد حكماء العرب ، استنتج بفطرته وعقله . فرأى أن الخير كل الخير .. في اتباع دعوة الحق ، وفيما يدعو إليه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا هو «النجاشي» عندما هاجر المسلمون وفروا بدينهم إلى الحبشة وبعث القرشيون إلى النجاشي في طلبهم وردهم .. قائلين له . إنه قد نجا إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه . لانعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم ، فهم أعلم بهم منا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فرأى النجاشي بثاقب فكره ألا يحكم على القوم ، قبل أن يسمع حجتهم وكلامهم ، فبعث إلى أصحاب الرسول ﷺ فدعاهم ، فلما جاءوا .. قال لهم :

ماهذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الملل : فقال له جعفر بن أبي طالب : أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته ، وعفافه فدعانا إلى الله ، لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة والأوثان .

وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة .

وأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئًا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئًا وحرمنا ماحرم علينا وأحللنا ما أحل لنا .

فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى وان نأتي ماكنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، ولما قرأ عليه صدرًا من سورة مريم ، بكى النجاشي ثم قال : ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، ثم التفت إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ، فقال لهما : انطلقا فلا والله

لا أسلمهم اليكما . على هذا المنهج المنصف وبمثل تلك النظرة الثاقبة الفاهمة يرى كل عاقل دعوة الحق ، ولايسعه إلا أن ينقذ نفسه بالانضواء تحت رايتها ، وترسم معالمها . وذلك هو الفوز العظيم .

«منهج الدعوة إلى الله»

لقد أرسى القرآن الكريم منهج الدعوة إلى سبيل الله ووضح طريقها ، في قول الله تعالى : «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» [٣] .

وإن الدعوة يتشكل أسلوبها على حسب أحوال الناس ، الذين ندعوهم فلكل مقام مقال فالخاصة لهم المحكم ، والعامة لهم العظة التي يمكن أن تصل إلى مداركهم وتستوعبها عقولهم ، والمعارضون لهم المناظرة الهادئة الهادفة والمجادلة بالتي هي أحسن .

ومادة الدعوة وأدواتها ، لها أكبر الأثر في استجابة الناس واجتذابهم وتوضيح معالم الحق أمام أعينهم حتى يتبينوا النتيجة التي يصلون إليها عندما يستجيبون للداعي ويلبون نداء الحق والخير ، أما موضوع الدعوة : فهو الإسلام وأساسه تلك العقيدة الواحدة التي نؤمن فيها بالإله الواحد

---

(٣) سورة النحل (١٢٥)

الأحد الذي لاشريك له وقد أمر الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، أن يخبر الناس بأن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له هي سبيله ، يدعو إلى الله سبحانه وتعالى بها على بصيرة وبرهان ويقين وإيمان ، ويدعو كل من اتبعه إلى مادعا إليه الرسول عليه الصلاة والسلام ، قال الله تعالى : «قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين»[٤] .

ومن أهم مايتمثل به الداعي أن يكون ملتزمًا بالعمل الصالح . عاملاً بما يدعو إليه يأتمر بما يأمر الناس به ، وينتهي عما ينهاهم عنه ، قال الله تعالى : «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين»[٥] .

فلايكون من أولئك الذين يأمرون بالمعروف ولايأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه فلايعظون أنفسهم بسوء مايصنعون ، حتى أشبه صنيعهم صنيع الجاهل بالشرع ، أو من لاعقل له . قال تعالى : «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون»[٦] .

والدعوة إلى الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب الإنسان المسلم كفرد وواجب الجماعة الإسلامية

---

(٤) سورة يوسف (١٠٨)

(٥) سورة فصلت (٣٣)

(٦) سورة البقرة (٤٤)

وواجب الأمة ـ «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون» [٧] .

إن من أهم خصائص المجتمع المؤمن . أنه مجتمع حريص على الخير والهدى ـ جاد في الدعوة إلى الله تعالى على هُدى وبصيرة .

ومن أهم مايحرص عليه المؤمنون كجماعة متضامنة ، أنهم يتعاونون فيما بينهم على ازالة المنكر من مجتمعهم وتطهيره وتنقيته من كل آفة ورذيلة ، فهم دائمًا وابدًا ذاكرون ربهم داعون إليه ، على عكس المنافقين الذين طمس الله على بصيرتهم وضلوا في متاهات الجهالة وخاب سعيهم في الحياة فأصبحوا لايشكلون خطرًا داهمًا على الفضيلة من ذات أنفسهم فحسب ، ولكنهم يشكلون خطرًا مزدوجًا من أنفسهم ومن غيرهم حيث يأمرون بالمنكر ولايكتفون بفعله ، وينهون عن المعروف ولايكتفون بتركه لقد نسوا الله فنسيهم الله فعليهم اللعنة ولهم سوء الدار .

«المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم» [٨] .

---

(٧) سورة آل عمران (١٠٤)

(٨) سورة التوبة (٦٧ ـ ٦٨)

وأمـا المؤمنون الـذين يكـونـون المجتمـع الايمـاني الصحيح ، المجتمع الواعي والداعي ، فـإنهم في حبهم لبعضهم وتضافر قواهم على نشر الفضيلة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحرسون حدود الله في الأرض ويدافعون عنها ، ويقيمون شرائع الله ويؤدون عباداته ، فيقيمـون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، ويقيمون كتاب ربهم سائرين على منهج الحق ، مترسمين معـالم الطريق وهؤلاء يرحمهم الله ويكتب لهم الفوز في الدنيا وفي الآخرة وذلك هو الفوز العظيم .

«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليـاء بعض يأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم» [٩] .

وإذا كان الإسلام قد رسم منهج الدعوة وأقامه بروح الرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة فإن الله سبحانه وتعالى : قد تكفل بحفظ من يدعو إليه وبنصرته وتأييده فلا خوف على الدعاة إلى الحق السائرين على الجادة الذين لايضعفون في دعوتهم ولايتباطئون . فالدعوة يقوم منهجها إذًا بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، ويتسم أسلوبها باللين . لكن في غير ضعف ولاتباطؤ . وقد بين القرآن الكريم هذه العقيدة واضحة فحين أمر الله موسى

---

(٩) سورة التوبة (٧١) .

وهارون أن يذهبا بآيات الله وحججه وبراهينه ومعجزاته ، نهاهما عن التباطؤ والضعف والفتور في ذكر الله وليكن ذكر الله قوة لهما ، وعونًا لهما عليه . فقال تعالى : «اذهب أنت وأخوك بآياتي ولاتنيا في ذكري» . ثم أمرهما باللين في القول والرفق في الدعوة ، ليكون ذلك أوقع في النفس وأبلغ .

«اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لينًا لعله يتذكر أو يخشى» .

ثم بين سبحانه أنه معهما يسمع ويرى ، وهو مع كل داع إلى الحق ينصره ويؤيده ـ فلا يخشى الداعي من أن يفرط عليه المدعو أو أن يعتدى ويطغى عليه .

ولقد حكى القرآن موقف موسى وهارون حين خافا أن يعتدي عليهما فرعون بين لهما أنه معهما . فقال سبحانه :

«قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ، قال : لاتخافا إنني معكما أسمع وأرى» [١٠] .

---

(١٠) سورة طه الآيات (٤٢ ـ ٤٦) .

«التدرج في الدعوة»

تميزت الدعوة بأسلوب التدرج الذي يأخذ بيد الإنسان تدريجيًا إلى مافيه الهدى والرشاد ولم تأخذ الدعـوة في منهجها توجيه الناس دفعة واحدة بكل ماهو منهي عنه وبكل مـايتصـل بـالعقيـدة والعبـادات والاخـلاق والعـادات الاجتماعية .. ولكنها تدرجت في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في كثير من المجالات .. وانتقلت بالناس بعد التركيز على جانب العقيدة وتثبيتها إلى الجوانب الأخرى . غير أن أمر الدعوة فيما يتصل بشأن العقيدة ، لم يكن يحتمل التدرج حتى فيما يتصل به من عادات أو تقاليد ، وذلك لأن التوحيد هو الأساس الذي سيقوم عليه بناء الجماعة ومنه ستنبثق العبادات ، وعلى أساسه يقبل العمل .

فكان لابد من حسم قضية العقيدة من أول الأمر وتوضيح العقيدة الواحدة التي لايختلف في شأنها ووضوحها إلا مكابر وضال ، لاسيما وأن البيئة كانت في ضلالة عمياء ، وكان المجتمع الوثني غارقًا في جهالة لاتعرف النور والهدي فكان لابد من كشف هذا الليل وازاحة تلك الظلمات ليشرق على الحياة فجر جديد تستضيء بنوره البشرية في كل حطاها .

وكان أسلوب التدرج بعد ذلك سمة الدعوة فيما يتصل بالأمور التالية :

أولًا : في الأمور المأمور بها والتي يدعى الناس إليها .

ثانيًا : في الأمور المنهي عنها والتي حرمها الإسلام وأمر بتركها وحذر من فعلها .
ثالثًا : فيما يتصل باقتلاع العادات السيئة وغرس الفضائل ومكارم الاخلاق .
رابعًا : فيما يتصل بالمجادلة والمعارضة والتدرج مع القوم حتى يفيئوا إلى الإسلام وإلى روحه ومبادئه الفاضلة «ادفع بالتي هي أحسن» .

وفي هذا البحث نتحدث عن الجانب الأول : من هذه الجوانب وهو جانب ما أمر به الله ورسوله ومادعت إليه الشريعة الإسلامية من عبادات وتكاليف . هي بمثابة الدعائم للإسلام :

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا أبو علم عاصم الضحاك بن مخلد عن زكريا بن اسحاق عن يحيى بن عبدالله بن صيفي عن أبي معبد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن فقال : ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله واني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم . تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم . وفي صحيح الإمام مسلم مايوضح أنه كان مرسلاً إلى قوم من أهل الكتاب وبهذا ندرك كيفية الدعوة إلى الإسلام وأن الدعوة يتحدد مسارها ومنهجها . على حسب

أصناف الناس الذين ندعوهم ، وعلى حسب موقفهم في العقيدة ، أو في العمل هل الذين ندعوهم مؤمنون أم غير مؤمنين وهل هم أهل كتاب أم لا ؟

فلما كان معاذ قد أرسل إلى من يقر بالإله والنبوات وهم أهل الكتاب كان أول ما يدعوهم إليه هو توحيد الله الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فهو يدعو إلى الاقرار والإيمان بالله الواحد ، ونبوة محمد ورسالته صلوات الله وسلامه عليه فلئن كان القوم معترفين بالإله إلا إنهم كانوا يجعلون له شريكًا ، وذلك لدعوة النصارى أن المسيح ابن الله ودعوة اليهود أن عزيرا ابن الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، ولعدم تصديق أولئك القوم بالرسول ﷺ .

من أجل هذا كان من أول مايدعون إليه هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . ثم تدرجت بهم الدعوة من الإيمان إلى العمل البدني بالصلاة ومن العمل البدني إلى العمل المالي بالزكاة وهكذا .

وفي صحيح الإمام مسلم مايوضح أنهم من أهل الكتاب ، قال رحمه الله تعالى : «إنك تأتي قومًا أهل كتاب» حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة وأبو كريب واسحاق بن إبراهيم جميعًا عن وكيع . قال أبو بكر : حدثنا وكيع عن زكريا بن اسحاق قال : حدثني يحيى بن عبدالله بن صيفي عن أبي معبد عن

ابن عباس عن معاذ بن جبل . قال أبوبكر : ربما قال وكيع عن ابن عباس . قال : قلت لرسول الله . قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك قال : قل آمنت بالله ثم استقم - رواه مسلم .

فالاستقامة لاتأتي إلا بعد الايمان والاقرار وبعد التصديق وبها يلتزم المسلم منهج الحق والصراط المستقيم فلا يحيد ولاينحرف في عقيدته وعبادته وسلوكه قال الله تعالى :

«إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدعون ، نزلا من غفور رحيم . ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين» [١١].

---

(١١) سورة فصلت (٣٠ - ٣٣) .

التدرج في الدعوة :
«حول مايتصل ببعض المحرمات»

وكما أخذت الدعوة بأسلوب التدرج في بعض المأمورات ، فقد أخذت به كذلك في بعض المنهيات وينبغي أن نبدأ في هذا الجانب بملاحظة لها أهميتها فيما يتصل ببعض هذه الأحكام لاسيما في جانب التحريم وذلك بأن التدرج كان في وقت يتطلب هذا المنهج ، ومع جماعة استحكم فيهم ما ألفوه ، وبعض الأمور التي أخذت طريقة التدرج في تحريمها ، كانت في ظرف زمني يستدعي ذلك .

ولم تكن الدولة في أول عهد الإسلام في مكة ، وقبل الهجرة ، دولة إسلامية بل كانت مشركة وكان المشركون يمثلون قوة عنيفة ، فكان الأنسب التركيز على جانب التوحيد أولاً ، ثم تأتي الأحكام بعد ذلك . فحين نقول اليوم بأسلوب التدرج في الدعوة أمرًا ونهيًا فإنما نقصد به المنهج التربوي الإسلامي العام الذي كان أولاً ، والذي يمكن أن نطبقه اليوم بالصورة اللائقة به ، وفي الزمان والمكان المناسبين له .

فمثلاً : لانقول بأسلوب التدرج في التحريم بالنسبة للخمر في دولة إسلامية دينها الرسمي الإسلام ، لأن أمر التحليل والتحريم والنهي والتحذير وغير ذلك من الأحكام قد استقرت فلا حاجة إلى أن نأخذ المتهاونين بأحكام الشريعة المستهترين بآدابها بالتدرج .

نعم يمكن أن يكون ذلك ونحن نتجه بالدعوة في بلاد غير إسلامية أو نتجه بالدعوة إلى قوم غير مسلمين أو يتجه بعض المسرفين على أنفسهم في علاج ما ألفوه من بعض العادات بهذه الطريقة . وقال العالم الجليل الشيخ محمد أبوزهرة رحمه الله ، وان عدم وجود أحكام للمعاملات في مكة سببه أن الدولة التي كانت قائمة دولة شرك وأن من المستحيل أن تنفذ أحكام المعاملات الإسلامية في ظلها ، وكان الاتجاه الأول إلى اخراجها من الشرك وادخالها في التوحيد أولاً ، ثم بعد ذلك تكون الدولة الإسلامية المنفذة ، ولكن المحرمات كانت ثابتة من أول تشريع الإسلام وإن كان مسكوتا عنها فلم تكن موضع اباحة ، بل كانت موضع سكوت وعفو حتى ينزل التشريع بتحريمها تحريمًا قاطعًا ، فما كانت الخمر مباحة ولكن كان مسكوتا عنها أو كانت في مرتبة العفو كما يقول علماء الأصول ، حتى إذا كان المنع الصريح في المدينة ، كان معه العقاب ، وهكذا كل ماكان مسكوتا عنه لم يكن موضع اباحة «من كتاب ـ القرآن المعجزة الكبرى ص ٢٥» . اهـ .

وإذا أخذنا تحريم الخمر مثالاً لأسلوب التدرج الذي اتخذته الدعوة مستضيئين في خطوات التدرج بالكتاب والسنة الشريفة اتضح لنا أن القرآن قد بدأ بتوضيح حالها وأنها أمر مستقبح ومستهجن ، وغير مستحسن وذلك لأن العرب كانوا قد ألفوها وتعودوها وفاخروا بشربها ، فبين لهم قبحها حيث قابلها بالأمر الحسن ، وماقابل الحسن فهو غير

حسن أي قبيح ، قال سبحانه : «ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون» (١٢) .

كان هذا في مكة ، أما بعد الهجرة وبعد أن خالطت بشاشة الإيمان القلوب نزل من القرآن مايوجب تحريمها حيث وضح الله تعالى إلى أن ضررها أكثر من نفعها وماكان كذلك يحكم العقل بتحريمه إلا أنه لم يكن نصًا صريحًا في التحريم ، قال تعالى «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما» (١٣) .

ثم تدرج التحريم شيئًا فشيئًا ، بطريقة تربوية حكيمة ، يبعد من تلك العادة ويربي النفس وينشئها ويعودها على البعد من الخمر ، وذلك بأن نهى الله المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى حتى يعلموا مايقولون أي أنهم لايقربون الصلاة إلا في وعي كامل والنهي عن المقاربة في غاية القوة والبلاغة ومثل هذه الحالة المطلوبة في الصلاة لاتتم إلا بتأتي الوعي الكامل قبل الصلاة ، وإلا بتركها مدة طويلة ، وبذلك يتعودون البعد عنها . قال سبحانه : «يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون» (١٤) .

---

(١٢) سورة النحل (٦٧) .
(١٣) سورة البقرة (٢١٩) .
(١٤) سورة النساء (٤٣) .

وهكذا عالجت دعوة القرآن ما ألفه الناس من هذه العادة السيئة ، ثم نزل بعد ذلك النهي القاطع بقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون»(١٥) .

وتوضح السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، المنهج الذي اتبعه الإسلام في تحريم الخمر ، وخطوات التدرج وذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده . قال : حدثنا شريح ، حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبى هريرة عن أبي هريرة قال : حرمت الخمر ثلاث مرات ، قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويلعبون الميسر فسألوا رسول الله ﷺ عنهما ، فأنزل الله : «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس» إلى آخر الآية .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما نزل تحريم الخمر قال : اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا ، فنزلت الآية التي في البقرة «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير» فدعي عمر فقرئت عليه فقال : «اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا ، فنزلت الآية التى في سورة النساء «يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى» فكان منادي

---

(١٥) سورة المائدة (٩٠ ـ ٩١) .

رسول الله ﷺ إذا قال : «حي على الصلاة نادى : لايقربن الصلاة سكران ، فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا فنزلت الآية التي في المائدة ، فدعى عمر فقرئت عليه ، فلما بلغ قول الله تعالى «فهل أنتم منتهون» قال عمر : انتهينا انتهينا رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي .

«التدرج في الدعوة»
مايتصل باقتلاع الرذائل وغرس الفضائل

وكما أخذت الدعوة بأسلوب التدرج في الأمر وفي النهي فقد أخذت به في معالجة الحياة ودعوة الناس إلى الخير وتجنيبهم الوقوع في الرذائل أو التردي في الفحشاء والمنكر فناهضت الدعوة عادات مرذولة وتقاليد قبيحة .

وعملت على اقتلاع تلك الرذائل التي كانت ضاربة بجذورها في النفوس قبل الإسلام . وأتت على كل الانحرافات عن الإسلام من العقبات المتراكمة التي كادت أن تسد الطريق أمام مجرى الدعوة .. وأتت على تلك الانحرافات التي كانت متفشية في الاعتقاد والعبادات والسلوك . وأتت على تلك الانحرافات من القواعد . فقضت على أساسها الذي كان يتمثل في الانحرافات في العقيدة وخلصت العقل البشري من المزاعم الباطلة . والمعتقدات الزائفة والسلوك القبيح .

فهذا الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم ومنحه عقلاً مفكرًا ، وأرسل له رسولاً هاديًا إلى الخير وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، كيف لهذا الإنسان العاقل ، كيف لهذا المخلوق في أكرم صورة يتطامن أمام أصنام ومعبودات من دون الله . لاتملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا ، وكيف يعكف هذا الإنسان على عادات ورذائل تطمس حقائق الحياة والهدى ويضل في متاهات الباطل والردى ؟ كان لابد للدعوة من اقتلاع تلك الرذائل ، حتى يمكن أن يكون هناك مجال لفضائل الإسلام ، وحتى يمكن للغرس الجديد أن ينمو ويترعرع إذ إن كل غرس أو نبات . لايمكن أن ينمو ويزدهر إلا إذا اقتلعت من حوله تلك النباتات الخبيثة والحشائش الضارة ، التي تعوق نموه وتعطل ازدهاره وتتلف ثماره ، وكذلك الحال بالنسبة لتلك الفضائل فإنها لايمكن أن تنمو مع نمو الرذائل وانتشارها .

ومن هنا جاءت الدعوة حين جاءت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، تأمرنا بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، ولم تأت الدعوة بتعاليمها فيما يتصل باقتلاع الرذائل وغرس الفضائل طفرة . ولم تدع إلى ذلك دفعة واحدة . وإنما أخذت بأسلوب التدرج وأخذت أوامر الدعوة ونواهيها تتدرج مع الناس على حسب مايصلحهم وبمقدار ماينفعهم . وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه حين يصدر أوامره أو نواهيه

يصدرها بما يعالج به الجماعة ، وربما يشفي امراضها واسقامها . وكان إذا سأله سائل أجابه بما يليق بحاله ومابنبغي عليه أن يقوم به . وهذا ماينبغي أن يكون عليه الداعية الذي يدعو إلى الإسلام ويقوم بدعـوة المجتمع واصلاحه عليه أن يكون كالطبيب الماهر الذي يصف لكل مرض مايناسبه من العلاج والعقاقير فليس لكل المرضى علاج واحد . وليست الأمراض واحدة وانما هي مختلفة ، وأنواع العلاج بالنسبة إليها أيضًا مختلفة ، ومايصلح لإنسان لايصلح لغيره . كما أنه لايعطي للمريض العلاج كله دفعة واحدة ، ولايسقيه الدواء جميعه في مرة واحدة وإلا فإنه إن فعل ذلك ماكان لعلاجه جدوى ، وما استطـاع أن يقوم المريض بتنفيذ ذلك بل إنه إن استطاع ما أفاده بل أضره وربما قضى على حياته . وهكذا الحال بالنسبة للداعية فإنه يجب عليه أن يعطي كل إنسان أو جماعة ماياسبهم ، وأن يتدرج معهم فيما يدعوهم إليه من فضائل وفيما ينهاهم عنه من رذائل . روى الإمام مسلم بسنده ، عن ابن عباس قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله إنا هذا الحي من ربيعة وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر فلانخلص إليك إلا في شهر الحرام فمرنا بأمر نعمل به وندعو إليه من وراءنا . قال آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع . الايمان بالله ثم فسرها لهم فقال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن تؤدوا

خمس ماغنمتم ، وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمقير و «الدباء» القرع اليابس و «الحنتم» جَرار خُضْر و «النقير» جذع ينقر وسطه و «المقير» المزفت المطلي بالقار ، فنهى عن الانتباذ فيها وهو أن يجعل في الماء حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلو ويشرب ، وخصصت بالنهي لأنه يسرع الاسكار فيها ، وفي حديث آخر يوضح الرسول ﷺ مايرضاه الله لعباده ، ومايكره لهم فيقول : «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا . يرضى لكم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولاتفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله امركم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال» رواه مسلم ، وهكذا من يتبع الهدي النبوي الحكيم يجد وصايا عديدة تحمل الأمر بالخير والنهي عن الشر ، ويجد مقاومة للرذيلة ودعوة إلى الفضيلة ، ويندرج أسلوب الدعوة ، ويجيب رسول الله ﷺ كل سائل بما يليق بحاله ، وينصح كل جماعة بما يقوم سلوكها ، حتى يعالج النفوس من أمراضها الدينية والاخلاقية والاجتماعية وينشئها على قوة العقيدة ، وسلامة الاخلاق وصلاح الجماعة لتنهض مؤمنة بربها ورسولها ، صادقة في سيرها واتجاهها ، مكونة مع غيرها خير أمة أخرجت للناس .

«ادفع بالتي هي أحسن»

والنموذج الأعلى والأمثل للدعـوة والأسوة الحسنـة للدعاة . يتمثل ذلك في دعوة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، لقد أرسله الله سبحانه وتعالى ، داعيًا للحق هاديًا إليه ، أرسله سبحانه شاهدًا على أمته ، وأرسلـه يبشر بالنعيم كل من اتبع دعوته ، وسـ . ، منهجه واستقام على الجادة وينذر بالعقاب وبالعذاب كل من خالف دعوته . وحاد عن منهج الحق وانحرف عن الصراط المستقيم ، وداعيًا إلى ربه الكريم

قال تعالى : «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا»[١٦] .

ولقد جمع الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام من أسباب الحق والخير والكمال مايمكنه أن يؤلف بين القلوب وأن يجمع الناس على كلمة سواء ، جمع الله لرسوله .. بين قوة البيان ، ووضوح الحجة ، ولين الجانب ، واتسمت دعوته بالرفق وحسن معالجة الأمـور ، ومقابلـة السيئة بالاحسان عامة . جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يطلب منه شيئًا .. فأعطاه ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال الاعرابي : لا

---

(١٦) سورة الاحزاب (٤٥ ـ ٤٦) .

ولا أجعلت فغضب المسلمون وقاموا إليه ، فأشار إليهم النبي ﷺ ، ثم قام ودخل المنزل ، وأرسل إلى الاعرابي ، وزاده شيئًا ، ثم قال له : أحسنت إليك ؟ قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا ، فقال له النبي ﷺ : إنك قلت ماقلت وفي نفس اصحابي من ذلك شيء ، فإن أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدي حتى يذهب مافي صدورهم عليك . قال : نعم : فلما كان الغد أو العشي جاء فقال ﷺ : إن هذا الاعرابي قال ماقال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك ؟ قال : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا . فقال ﷺ مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورًا ، فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي ، فإني أرفق بها منكم وأعلم . فتوجه لها بين يديها ، فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستراحت وشد عليها رحلها واستوى عليها ، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ماقال فقتلتموه دخل النار .

واتسمت دعوة الحق والرفق -وحض عليه رسول الله ﷺ حتى تأخذ الدعوة مجراها ولايكون للقسوة والغلظة عواقبها في النفور من الدعوة وبعد الناس عنها فإن الرفق زينة كل شيء ، وهو بالنسبة للدعوة من أهم الأساليب التي لها أثرها العميق ، يقول الرسول ﷺ : «إن الرفق لايكون في شيء إلا زانه ، ولاينزع من شيء إلا شانه» «رواه مسلم» .

وقد أمر الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه بالرفق ،

وخفض الجناح مع أولئك الذين اتبعوه من المؤمنين . فقال تعالى :

«واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون» [١٧] .

ولقد طبق رسول الله ﷺ ، منهج الدعوة بين أصحابه في كل قول وعمل ، وفي كل الأحوال والظروف ليغرس في نفوس المسلمين الطريقة المثلى في التعامل مع الناس في كل أمورهم ، فإذا اغلظ البعض القول معه كان يدفع بالتي هي أحسن ويحسن إلى من اساء إليه .

إن روح التسامح والرفق ، وان مبدأ المعاملة الحسنى ، والمجادلة بالتي هي أحسن إذ يمثل هذا جانبًا هامًا من جوانب منهج دعوة الحق فإنه بلاشك ، من أهم مايجب على كل داع ومصلح أن يلتزمه في دعوته ، وفي كل خطاه الاصلاحية ، حتى يستطيع هديه أن ينفذ إلى القلوب ، وحتى يكون هو بهذا الخلق مثلاً يحتذى أن يدعوه إلى الخير .

وقد أعلن القرآن الكريم ، ان الله تعالى لم يجعل في هذا الدين من حرج ، وانما اليسر والرفق والتسامح من سمات الدعوة إليه ، ومن صميم مبادىء الدين وجوهره قال سبحانه : «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم

---

(١٧) سورة الشعراء (٢١٥ ـ ٢١٦) .

المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيدًا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير[١٨] .

«الطريق إلى حماية الدعوة»

تتضح معالم الطريق إلى حماية الدعوة بترسيخ أصول الحق في أرض الايمان وبتنقية ماحولها واضاءة الحياة بهدي الله ، وبالتضحية والجهاد والاستشهاد في سبيل العقيدة .

فاما ترسيخ تلك الأصول فيكون بالدعوة الحارة المخلصة والتي تتمثل فيها القدوة قبل التوجيه ، واما تنقية ماحولها فيكون باقتلاع جذور الشك والفساد وصد كل فكر معاد للإسلام ، ورد كل حملات التشكيك المسمومة . التي يشنها أعداء الإسلام بين فترة وأخرى .

وأما إضاءة الحياة بهدي الله فذلك بنشر الثقافة الإسلامية الأصيلة على أوسع مستوى . وبكل وسيلة من الوسائل ، وفي كل مجال من المجالات حتى لاتكون الفكرة الإسلامية غريبة على كثير من الناس الذين لايتيسر لهم دراسة مفاهيم الإسلام وأصوله وآدابه ومعاملاته .

وأما الجهاد والتضحية . فمجال واسع كبير ، يقدم فيه

---

(١٨) سورة الحج (٧٨) .

كل مسلم غيور على الدعوة أمين على عقيدته . مايستطيع من النفس والمال أو الكلمة ، وطريق حماية الدعوة يتخذ جانبين .

الجانب الأول : الداخلي ، والجانب الثاني : الخارجي ، فأما الجانب الداخلي فيكون بتربية النشء تربية إسلامية تتشكل فيها حياة الشباب منذ الصغر تعليمًا وتوجيهًا ، وتربية وتدريبًا وتقويمًا .

وأما مايتصل بالتعليم والتوجيه فينبغي التركيز فيه على حفظ كتاب الله تعالى ، وهذا أهم العناصر ومحاولة تقديم تفسيرات متنوعة تتسم باليسر وسهولة الأسلوب وايضاح المعنى حتى يتغذى شبابنا بغذاء الإسلام ويهضم كل منهم تعاليمه ، فينمو الواحد منهم ويكبر وقد سرى في روحه ودمه وكل كيانه حب الإسلام والغيرة عليه . والدفاع عنه والحفاظ على تراثه ومقدساته وجميع تعاليمه ، وهذا الغذاء الروحي لابد أن يكون بجانبه غذاء روحي آخر مكمل وموضح له وهو حديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وسيرته وسيرة صحابته والسلف الصالح .

ولهذا الغذاء الروحي أهمية كبرى لاتقل - بل تكثر - عن أهمية الغذاء المادي الذي به قوام البدن والأعضاء . لأن في هذا الغذاء قوام النفس والروح .

وإذا كان علماء الطب والأعضاء والمتخصصون في علم وظائف الأعضاء يقولون بأن بعض أنواع الغذاء من طعام

وشراب لها دخل في تكوين الطفل ونموه ، وقوته وضعفه ، وذكائه أو غبائه إلى غير ذلك من الأمور ، فإن في الغذاء الروحي آثارًا بعيدة المدى في التأثير على قوة عقيدة النشء ، وعلى أخلاقه وعاداته وتقاليده ، وسيرته وسلوكه في الحياة ، وحمايته من المؤثرات الخارجية والتقاليد الوافدة التي تهدم بناء الاخلاق وتقوض الكيان الخيري في داخل الإنسان .

وأما مايتصل بالتربية والتدريب والتقويم فذلك يكون عن طريق الأسوة الحسنة في الوالدين وفي الأساتذة في المدارس والمعاهد والجامعات ، وفي الاقران والزملاء والأصدقاء وفي الجماعة الإسلامية بصفة عامة .. ولابد أن تستمد هذه الأسوة من الأسوة الأولى التي أمرنا الله تعالى بها وبالاقتداء بصاحبها صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه ، وذلك في قول الله سبحانه وتعالى : «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا» .

وفي مجال التربية والتدريب ينبغي الاهتمام بملاحظة مايقوم به الناس في معاملاتهم وعباداتهم وسلوكهم وتصرفاتهم من خير أو شر فبجانب الخير يعطي العناية والتشجيع عليه وجانب الشر يقاوم ويناهض بحيث لايترك حتى لايستشري الفساد ، ويتفاقم الشر والخطر وتسري عدوى الشر والرذيلة من إنسان لآخر .

أما الجانب الخارجي لحماية الدعوة فذلك يمنع تسرب المجلات الخليعة والكتب الماجنة والصحف المسمومة التي

تعمل على نشر الفساد والرذيلة ، وبمقاومة الدعاوى الخادعة المزيفة التي تثير الأقاويل وتضخم من أعمال وسلوك الأعداء وحسن معاملاتهم ومقاومة مايثار حول المسلمين من أنهم لاثقة في وعودهم وأعمالهم .

ومن جوانب حماية الدعوة على الصعيد الخارجي ، مقاومة الغزو الفكري والثقافات المادية الملحدة التي تحارب الدين ، وتقاوم الفكر الإسلامي بما تثيره من دعاوى زائفة وأفكار مسمومة .

وهناك جانب آخر له أهميته الكبرى وهو نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة على أعلى مستوى وفي أوسع نطاق داخليًا وخارجيًا في الصحف والمجلات وفي الكتب والنشرات التي تقدم مباديء الإسلام وتعاليمه السمحة ، وترد على كل مايثار من أعداء الإسلام .. وتقدم نماذج لرجال الإسلام والسلف الذين أفنوا أعمارهم في خدمة الإسلام وحماية دعوته .

ولايمكن أن نغفل أهم ركن في حماية الدعوة وهو الجهاد في سبيل الله لنصرة الإسلام وتأمين دعوته وتذليل كل العقبات أمام المد الإسلامي الواسع .

ونماذج المجاهدين في سبيل الله من سلفنا لاحصر لهم ، والمتصفح لتاريخ الأمة الإسلامية وسلفها يرى مشاهد رائعة ، وبطولات فذة ، قدمت العديد من المواقف جهادًا في

سبيل الله تعالى ، وتضحية بالنفس والمال وبأغلى مـا في الوجود .

لقد كان للسلف جهادهم المشكور وشوقهم العارم إلى الاستشهاد في سبيل الله لأنهم على يقين بما أعده الله للمجاهدين والشهداء . يقول خيثمة ـ وكان ابنه استشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر ـ لقد اخطأتني وقعة بدر . وكنت والله عليها حريصًا حتى ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة ، وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها يقول : الحق بنا ترافقنا في الجنة فقد وجدت ماوعدني ربي حقًا ، وقد والله يارسول الله أصبحت مشتاقًا إلى مرافقته في الجنة ، وقد كبرت سني ورق عظمي وأحببت لقاء ربي فادع الله يارسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة ، فدعا رسول الله ﷺ بذلك فقتل بأحد شهيدًا .

وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا ، فلما توجه إلى أحد أراد أن يتوجه معه فقال له بنوه إن الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك ؟ وقـد وضـع اللـه عنك الجهاد ، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله إن بنيَّ هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك ، وإني والله لأرجو أن استشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة ؟

فقال له رسول الله ﷺ : أما أنت فقد وضع الله عنك

الجهاد ، وقال لبنيه : وماعليكم أن تدعوه لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة ، فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدًا .

هكذا كان سلف هذه الأمة التي وصفها القرآن بأنها خير أمة أخرجت للناس . كانوا على جانب من حب الجهاد وحماية الدعوة ، والتضحية في سبيلها ، حتى أنهم قد نذروا أرواحهم لله وقدموها رخيصة في ساحة الجهاد والاستشهاد والعزة والكرامة ، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

وقد صدقوا ماعاهدوا الله عليه . فصدقهم الله ماوعدهم به من الفوز في الدنيا والآخرة ، وذلك هو الفوز العظيم .



دار للطباعة والنشر
جدة